حلاويات

حكاية طربوش

ى الشاذلى

فتحى حلاوة

وعندما قدمت ثورة يوليو كان كل شيء يغلي في مصر من حر يوليو ومن فساد الحكم ومن ثورة الفقر وشدة المرض واستشراء الخبل بين فئات المواطنين. من أجل هذا كان التجاوب الشعبي مع حركة الضباط الأحرار هو الثورة الحقيقية التي هزت بعرش الملك الظالم وأطاحت بدولة العملاء. ومن المؤكد أن للثورة انجازات ومن الطبيعي أن تكون لها حسنات ولكنه لم يكن من المتوقع أن تكون لها جرائم أو أخطاء أو سقطات. غير أن الثورة أيضا كان لها مضحكات.

فعندما استتبت الامور كانت رغبة التغيير هي الاتجاه السائد لدى قادة الثورة ومن تشعبط خلف موكبهم من هواة التطبيل والمنافقين وركاب الشمال. وكان العلم المصري أول ضحية من ضحايا التغيير. وأقر وأعترف أني اتعلق بشكل العلم المصري الأخضر ذي الهلال والثلاثة نجوم ربما لأني قد تفتحت عيناي على منظره وربما لأني من عشاق اللون الأخضر وربما لأني لا أنتمي لذلك العلم المخطط ذي الثلاثة ألوان والذي يحتل اللون الأسود المفزع ثلث مساحته على وجه التحديد. خاطر أخير ربما يكون له بعض الاعتبار النفسي لدى خيالي ذلك أني لا أرتضي على أي نحو من دواعي الوحدة أو الاتحاد أن يكون علم بلادي هو نفس علم الجماهيرية الليبية. وهو أمر ربما يدعو إلى الضحك وربما يدعو إلى النكد المبرح أما ما يضحكني حقا فهو ما انتهى إليه أمر المسرف عليه غطاء الرأس الملقب بالطربوش. فقد اعتبر جهابذة التخطيط والتغيير الثوري أن الإطاحة بالطربوش أمر تستوجبه دواعي الوطنية والتحرير والاستقلال ومازلت حتى هذه الساعة أجهل التحليل المنطقي الذي بنيت عليه فلسفة الاطاحة بهذا الطربوش ومدى علاقتها بالاشتراكية أو الثورية أو تحالف قوى الشعب العاملة.

وحكاية الطربوش بدأت مع الرغبة في استقلال الشخصية المصرية وتنقيتها من جميع الشوائب الأجنبية. وكان المتيسر أن يتركز الاتجاه إلى الاحتلال البريطاني بكل ما يستتبعه من ذيول ومتعلقات إلا أن تيار الاندفاع الجارف قد أمر أن يكتسح بقايا الاحتلال العثماني بالمرة ولما لم يجد لدينا ملوكا أو سلطانا أو أي أثر لسلطنة في عنق ركز انتفاضته العنترية على الطربوش المسكين فاطاح به.

ولقد كان الطربوش يمثل في حياتنا ما يبعث حقا على الاضحاك. فهو بتكوينه فعلا لايمنع ضربة الشمس ولا يحمي الرأس من هطول الأمطار. أما المضحك حقا وصدقا فهو تلك الفرفرة المتدلية منه أحيانا إلى الخلف بحذاء القفا وأحيانا أخرى على جنب وذلك لا يتأتى إلا في حالات العياقة والفشاكة والرغبة الروميوية في إصابة قلوب بنات حواء بسهام الحب والدلال. ولقد حاول الكثيرون التعرف على أسباب تواجد تلك الزر الأسود فلم يجدوا لها تعليلا إلا أنه أشبه بشبه البنطرون وجودها لايقل نفعا عن عدمه وربما كان عدمه أنفع غير أن بعض الباحثين قد رجعوا أن ذلك الزر كان في الخال المبتدي طويلا طويلا مثل زعزوعة التقصب وأنه كان يتدلى من طربوش المملوك بحيث يغطي قفا حضرته الأنفخ بقصد حمايته من ضربات السيوف ذلك أن خيوط الحرير من شأنها أن توقف توغل حد السيف إلى القفا. ولقد كنا في المدرسة الإبتدائية نرتدي الطربوش كما نرتدي الحذاء ولم يكن مسموحا لنا بدخول المدرسة بلا طربوش. وأثناء الفسحة كنا نتصيد بعض الغلابة من الزملاء لنلعب بطرابيشهم ما تتمتع في كرة القدم وكنا نحرز أهدافا دولية بذلك المنكوب الأحمر الذي رحل الاستعمار العثماني عنا وتركه بين أيدينا وأرجلنا يتلقى صنوفا وألوانا من الهزأة وقلة القيمة.

وأنا يا سادة لا أطالب بكلامي هذا بعودة ذلك القرطاس التركي الأحمر ليتربع فوق رءوسنا لكنني بهذا أحاول أن أبحث عن بديل له بعد أن عشنا ربع قرن من الزمان حاسري الرءوس نعاني من لفحات البرد ولطشات الشمس في أغسطس. فالفلاحون هنا يضعون اللبدة وأولاد البلد يحمون رءوسهم بالطاقية الشبكة وربع اللاسة والضباط يضعون البيريه أو الكاسكيت أما أمثالي من فئة الافندية لما زالوا منذ يوليه ٥٢ في انتظار أن يأذن الله بالفرج أو تنزل علينا قراطيس من السماء.

ولقد قيل لنا منذ ربع قرن إن ثمة لجنة قد تشكلت لدراسة مسألة غطاء الرأس والاستقرار على قرطاس قومي يصلح للطربوش بديلا غير أن اللجنة في الغالب الأعم قد انتقلت إلى الرفيق الأعلى وتركت فئة الافنديات الغلابة يجنون من لفحة الشمس على محطات الأوتوبيس وكل منهم يحمي صلعته البهية بغطاء رأس قومي ماركة الأهرام والأخبار والجمهورية.

والحمد لله أولا وأخيرا أن الثورة قد ركزت غضبتها العنترية على ذلك الطربوش المسكين ولم يتطرق إلى ذهنها أن تبحث أمر البنطلون فربما قد يؤدي البحث إلى علاقة لسيادته بالاحتلال البريطاني وكما يقول أهل السماحة والرضا قضا أخف من قضا وأن المولى عز وجل قد قدر ولطف.

لكني يا سادة أرجو أن أستسمحكم في أن أجري مجرد محاولة أو كما يقولون سد خانة للوصول إلى غطاء قومي لرءوس العباد الأفندية. فمجرد الرجوع إلى نقوش أجدادنا الفراعنة سيدلنا بلا فلسفة أو غلبة إلى أن الفوطة البيضاء الليلي أو الباتسته وربما البفته هي أصلح ما يمكن أن يحمي رءوس العباد من الطر رغم أغسطس ذلك أنها تصلح للاستعمال كفوطة وهي غطاء الرأس المستعمل في أغلب الدول العربية، أو كعمامة وهي ما يستعمل في السودان الشقيق أو أسوان والنوبه ثم هي تصلح أن تربط على رأس الأبعد كما تربط خالتي خضرة منديلها أبو أوية. وهي بعد هذا وذاك تصلح عند اللزوم لكي تبرم وتلف لتستقر على رأس الأبعد كحراية هذا إذا رأى ذلك الأبعد أن يلتحق بأحد الأفران أو يعمل شيالا في ميدان المحطة

رسائل خاصة

- الحاجي سليمان حسين - النظام الثانوية التجارية:

أشكرك يا عزيزي الحاجي. وعلى فكرة الوياجسرجيين اللي بالك منهم بيسرحوا بالغلابة ويبيعوا لهم كلام ويركبوا مارسيدس

- عبد اللطيف عبد العزيز سامون:

الاتحاد التعاوني الزراعي المنحل إذا كان المسئولين مطنشين لهذه الدرجة فأرى أن ترفعوا دعوى إدارية تطالبون فيها بالعلاوات الدورية والاستثنائية. قضية المسئولين عندنا أنهم لايقرأون الشكاوى ولا تحركهم كتابات الصحفيين في أكتوبر ولا ديسمبر.

- الزميل عبد القادر عبد الشافي المحامي.

لو أنك قرأت رسائل هؤلاء السفلة وما تحتويه من سباب وألفاظ جارحة لا عطيتني الحق في ضربهم بالصرمة القديمة ولكن قواعد النشر تمنع نشر رسائلهم بالنص ولذلك يظن البعض أنهم أبرياء وأنا المتجني عليهم. عموما أشكرك يا عزيزي عبد القادر وأحييك

- الكتور ضياء الدين - موسكو

ألف من الحضيرة التي بعثت لك إلى موسكو يا ...

طبعت بمطابع دار المعارف بمصر